أسئلة النهضة العربية الحديثة:

حول أسبقية الإصلاح الثقافي والتعليمي بين سالم بوحاجب ومحمد عبده!

عمار عوني*

■ هل نحن في حاجة ماسة الى إعادة قراءة المدونة الإصلاحية العربية الحديثة التي أنتجها المصلحون والعلماء المجددون منذ أواخر القرن التاسع عشر والى الربع الأول من القرن العشرين؟ وما مشروعية إعادة النظر في أدبيات المصلحين العرب التي تأسست في نطاق استشراف آفاق النهضة العربية خروجا من واقع الانحطاط وبحثا عن سبل الرقي والتقدم رغم الهوة الحضارية الشاسعة بين العالم العربي الإسلامي والغرب الأوروبي المنفرد بآليات الحداثة والتقنية من جهة والمندفع بعقلية الاستعمار والهيمنة نحو العالم الخارجي؟ هذان السؤالان وغيرهما من الأسئلة ربما تنهال على أي تفكير تنويري نقدي إذا ما اعترضته بعض الأطروحات الجديدة حول أفكار المصلحين العرب عند بدايات اليقظة أواخر القرن التاسع عشر باعتبار أن «الدفاع عن حرمة المعرفة ليس ادعاء نظريا أجوف ينكر على الإيديولوجيا شرعية استيطان القول الفكري أو جزء منه، لكنه دفاع عن الموضوعية والنسبية والتاريخية وروح النقد...».

قراءة جديدة للإصلاح الحديث

هذا المعطى الذي يلح على أهمية إعادة تقييم المواقف من الفكر الإصلاحي العربي الحديث والحفر مجددا انطلاقا من مرجعية نقدية في المدونات التي أنتجها رجال الإصلاح العرب مشرقا ومغربا يجد أكثر من مشروعية في هذا السياق المنهجي نقديا ومعرفيا. ولعل ما توصل الى استنتاجه مؤخرا الدكتور كمال عمران في دراسة علمية جديدة خلاصتها أسبقية المصلح التونسي الشيخ سالم بوحاجب (ت 1924) في الدعوة الى اصلاح التعليم وتحديثه عن المصلح المصري الشيخ محمد عبده (ت 1905) يعتبر طرحا ملفتا لنظر الباحثين ودافعا الى التفكير ومراجعة بعض المسلمات التي هيمنت على كتابات الدارسين لأطروحات المصلحين العرب ومشاريعهم التحديثية.

فقد استخلص هذا الباحث التونسي في دراسته التي قدمها في ندوة علمية نظمتها الجمعية التونسية للدراسات والبحوث حول التراث الفكري التونسي أن «الشيخ سالم بوحاجب كان سباقا عن الشيخ الإمام محمد عبده في الوعي بضرورة بلورة مشروع اصلاح تحديثي محوره اصلاح التعليم وتجديد الثقافة الاسلامية»(2).

فقد استند الدارس في بناء هذه الفكرة الجديدة التي تقول بريادة الشيخ سالم بوحاجب التونسي في تبني فكرة التحديث وتطوير المنظومة الثقافية والتعليمية في تونس والعالم العربي الإسلامي وأسبقيته في ذلك عن الشيخ الإمام محمد عبده الى نصين مركزيين للشيخين المذكورين هما عبارة عن محاضرتين علميتين ألقاها كل منهما على منبر الجمعية الخلدونية (معهد للعلوم العصرية أنشئ بتونس سنة 1897م) باعتبار أن محمد عبده قد زار تونس مرتين ، الأولى أواخر 1884 بعد ايقاف مجلة «العروة الوثقى» بباريس والثانية في ايلول (سبتمبر) 1903، حيث ألقى محاضرة في معهد الخلدونية بتونس ووقف على النشاط العلمي والثقافي المتطور في أوساط النخبة التونسية.

ذكرى زيارة الشيخ محمد عبده الى تونس (1903) من اليمين الشيخ العنكي ـ زويك (مصري) علي بوشوشة، عمر بوحاجب، عبد الجليل الزقوش، عمر البكوش، محمد بلخوجة، عمر قلالي، الشيخ محمد عبده، البشير صفر، وخليل بوحاجب

والمتأمل في نص المحاضرة التي ألقاها الشيخ سالم بوحاجب في افتتاح الدروس بالجمعية الخلدونية يوم 15 ايار (مايو) 1897 يستنتج العمق الذي يميز الطرح الفكري والمعرفي حيث ينبه الى ضرورة الأخذ بأسباب التقدم ووعي قوانين الرقي والنهوض التي تدير صيرورة المجتمعات والأمم وتفرض غلبة بعضها وتفوقه على البعض الآخر" لولا القلم (التدوين) ما وصلت الينا علوم سوالف الأمم حتى عرفنا أطوار العمران وأسباب تقلبات الأزمان، ولولا كتب التاريخ ما علمنا أن نموالاستعمار انما كان بتعارض الأنظار وتلاحق الأفكار بحيث أن كل أمة تستخدم نبلها من الغاية التي انتهت اليها الأمة من قبلها».

هذا ونقف خلال نص هذه المحاضرة على أفكار وأطروحات أخرى تقدمية مثيرة للاهتمام وجالبة للنظر منها المقارنة التي أجراها بين حالة الانحطاط التي يعيشها العرب المسلمون وحالة الرقي والنهضة العلمية والتقنية والاجتماعية التي تعيشها أوروبا مشيرا الى الأسباب الكامنة وراء ذلك: «ونسج على منوالهم (أي العرب والمسلمين الأوائل) الأوروبيون أمور دنياهم فتقدموا فيها التقدم المشاهد وتأخرنا من سوء البخت ولا نرى الا اعتقاد كثير منا أن التقدم في العلوم الدنيوية ينشأ عن التأخر في الدين والحال أن الواقع بالعكس فإن الدين إنما تقهقر عند تأخر المسلمين في تلك العلوم...».

الإصلاح بين التعليم والثقافة

إن المعطيات والاستنتاجات التي بسطناها فيما سبق حرية بالنظر والتفحص لا سيما إذا استحضرنا المكانة البارزة التي يحتلها الشيخ محمد عبده في مسار الحركة الاصلاحية العربية الحديثة حيث أنه: «ترك في العالم الاسلامي ولا سيما في مصر مدرسة فكرية في التجديد والاصلاح كان لها الأثر الكبير في تطوير الأزهر وبناء قطاع فاعل من مؤسسات التعليم والخدمة الاجتماعية...». ذلك أن الأفكار الاصلاحية التي أثارها الشيخ سالم بوحاجب في محاضرته المشار اليها سابقا تؤكد الوعي المبكر الذي نشأ لدى النخبة التونسية ـ في ظل التواصل الذي جرى مع النخبة المثقفة في المشرق العربي ومصر على وجه الخصوص ـ من علماء وشيوخ بأخطار الإنحطاط والتخلف وضرورة التوجه الى المنحى الاصلاحي نحو الثقافة والمجتمع بمختلف مؤسساته ومجالاته. ولعل من بين التساؤلات التي تطرح في هذا السياق النقدي المتعلق بالفكر الاصلاحي العربي الحديث الذي تشكل تحت وطأة الاستعمار الأوروبي من جهة وفي ظل الانحطاط الاجتماعي والثقافي العربي من جهة أخرى: هل استفاد الشيخ الامام محمد عبده في أفكاره الاصلاحية وخصوصا ما يتعلق منها باصلاح الثقافة والتعليم وتحديثهما من أفكار الشيخ سالم بوحاجب؟ وهل اطلع على نص محاضرة الشيخ سالم بوحاجب السابقة قبل القاء محاضرته في معهد الخلدونية لدى رحلته الى تونس سنة 1903.

إذا تتبعنا نص المحاضرة التي ألقاها الامام محمد عبده على منبر معهد الخلدونية بتونس في شهر أيلول (سبتمبر) 1903 فإننا نقف على تشابه في الأفكار الاصلاحية بينه وبين الشيخ سالم بوحاجب الذي سبقه زمنيا في محاضرته حول الموضوع نفسه بحوالي ست سنوات: «إن بعض اخواننا الذين عرفناهم في تونس قد طلبوا من الفقير مسامرة أومحاورة... ثم قالوا درسا فسألني بعضهم عن ذلك فقلت: نعم هودرس ولكن لا تظنوا أنه درس في تحقيق مسألة علمية فإن عندكم من جلة العلماء من نعترف بفضلهم فمن أراد تحقيق مسألة علمية فليراجعهم ، أما هذا الفقير، فرجل سائح ، قصدت هذه الديار للتعرف ببعض المسلمين والنظر في أحوالهم وأمور دينهم من حيث العلم والتعليم ...».

ولكن الناظر في أعطاف نصي المحاضرتين يتفطن الى التباين في زاوية النظر حيث يتجه اهتمام بوحاجب الى التركيز على تحديث التعليم والثقافة من حيث تنبيهه الى أهمية استيعاب العلوم الدنيوية العصرية خاصة الطب والهندسة والفلاحة والصناعات الحربية والتقنية في حين أن توجه محمد عبده منصب على احياء العلوم الدينية وتجديدها بالاعتماد على اصلاح اللغة العربية وطرائق تدريسها من جهة وتوخي المنهج العقلي في فهم العلوم الاسلامية واستنباط غاياتها ومقاصدها: «على كل من له غيرة على ملته أن يبذل ما في وسعه لتسهيل طرق تعليم اللغة العربية وتحصيل الملكة فيها قولا وكتابة حتى يتكلم بها غالب أهلها ويكتبوا بها بالطريقة الصحيحة لأن في انحطاط لغتنا انحطاطا لنا ولديننا وعقائدنا وأخلاقنا وانحطاط ذلك مفسدة لجميع أمورنا...».

ولعله من المهم التأكيد في هذا السياق على أن الملاحظات التي جرت اثارتها فيما سبق ليست إلا قراءة مقتضبة لبعض الآراء التي تضمنها نصان من النصوص القليلة المثيرة للنقد والتفكير في نطاق أدبيات الحركة الاصلاحية العربية منذ القرن ما قبل الماضي، كما تنبغي الاشارة الى أهمية الافكارالإصلاحية التي تبناها كل من الشيخين سالم بوحاجب ومحمد عبده والتي ان نظرنا اليها بأكثر شمولية فإننا نجدها لا تتوقف عند اصلاح التعليم فقط انما تتجاوز ذلك لتؤسس لتحديث البنية الاجتماعية والثقافية ككل في نطاق معادلة تطمح الى المواءمة بين الأصالة والتحديث والتوفيق بين الخصوصية ومقتضيات المعاصرة وهذا ما يظل مفتوحا على قراءات نقدية أخرى في المستقبل.

---

* كاتب وصحافي من تونس

الصديقان العائدان إلى حيفا

رشاد ابو شاور

■ اثر هزيمة 5 حزيران (يونيو) 67، واستكمال احتلال فلسطين من نهرها لبحرها، بات بمقدور فلسطينيي 48 زيارة ذويهم في الضفّة والقطاع، وايضاً صار فلسطينيو الضفة والقطاع يزورون قرى ومدناً رحلّوا عنها، ويشتغلون في الاعمال (السوداء) داخل الخّط الاخضر، اي ما احتل عام 48 (النكبة).

بعد اوسلو، ووادي عربة ـ وهما من منظور ملايين العرب الذين انا واحد منهم ـ نكبتان غلّفتا بشعارات واوهام السلام، تدفّق عرب الـ48 على العاصمة الاردنيّة (عمّان) فالتقوا باهلهم العرب بعّامة، بل تمكّن بعضهم من زيارة (دمشق) و(بيروت).

القاهرة بعد نكبة كامب ديفد ـ اليس كامب ديفد نكبة بكلّ المقاييس؟! ـ فتحت ابوابها (للاسرائيليين) وهذا التوجّه شمل العرب الفلسطينيين الصامدين في وطنهم، والذين تحدّوا التمييز العنصري الصهيوني، والتناسي العربي الرسمي وحتّى الشعبي (المضلل)، وتشبّثوا بعروبتهم.

في هذه الحرب، بين (حزب الله) و(اسرائيل)، حرب تمّوز(يوليو) وآب (اغسطس) 2006، حرب الصواريخ، والمفاجآت، وتدمير الميركافا، واسقاط اسطورة الجيش الذي لا يقهر، جيش الانتصارات دائماً على العرب، وتبديد (نصف) انتصارهم في حرب تشرين 73.. طلب سماحة السيّد حسن نصر الله من اهلنا الفلسطينيين مغادرة (حيفا) حتى يخرجوا ابطال المقاومة الاسلاميّة من حالة التردد في قصف (حيفا)...

بعض الفلسطينيين، وتاملّوا العنصريّة التي فضحتها هذه الحرب، رفضوا الرحيل عن بيوتهم و(مدينتهم)، رغم عدم توفّر ملاجئ في الاحياء (العربيّة)، ولكن بعض الاسر رحلت نجاة بانفسها...

الصديق الكبير حنّا ابوحنّا، الشاعر، الباحث، صاحب السيرة المدهشة (ظلّ الغيمة).. اتصل بي، فاستفسرت منه عن مكان اقامته، وانا أعرف انه (حيفاوي)، فضحك واخبرني:

ـ انا (لاجئ) عندكم في عمّان ...

في نفس اليوم هاتفني الصديق الياس عطا الله المعجمي والاكاديمي والكاتب، فاتفقنا ان نلتقي في احد فنادق عمّان .

اخبرني (العم) حنّا ان صديقاً من اساتذة جامعة بيرزيت اتصل به ورجاه ان يحضر مع زوجته الى (رام الله) لقضاء بضعة ايّام...

يضحك (العم) حنّا، وهو يقلّب يديه:

ـ صارت (رام الله) رغم الهجمات اليوميّة عليها، اكثر امناً من (حيفا)، من كان يتخيّل هذا؟!

علمت من الصديقين العزيزين ان اهلنا في البلدات والمدن التي سقط فيها ضحايا (عرب)، كانت تزّف الشهداء بالزغاريد، والاناشيد، باستثناء القرية التي ينتمي لها (الجاسوس) عزّام عزّام، ففيها ـ المغار ـ شتم حزب الله.. ولا عجب!

استفسرت من الصديقين عن اثر صدمة هذه الحرب على (اليهود)، فاستوقفتني حكاية صغيرة رواها الاستاذ حنّا: اتصلت بي امرأة يهوديّة اعرفها منذ سنوات، وسألتني عمّا سيحدث بعد ان تتوقّف هذه الحرب. اخبرتها انني قرأت خبراً في الصحف عن تشكيل اهالي الجولان السوريّة منظمّة على غرار حزب الله، لخوض معركة تحرير ارضهم...

ماذا كان تعليق تلك السيّدة؟ قالت لي على الهاتف بصوت محبط ويائس : اذا كان الامر كذلك فلم يعد لنا بقاء في هذه البلاد...

في فندق (عمره) شربنا ابريقي شاي بالنعناع، وتشعّب بنا الحديث عن الاصدقاء، والادب، والحروب، فرويت لهم بعض ما عشته في حرب الـ82، ومعركة بيروت، وهو ما دونته في كتابي (آه يا بيروت).

في الايّام الاولى من تلك الحرب، كنت متوجهاً الى شارع الحمراء، التقيت بالسيّد الياس صنبر، الفلسطيني الذي يعمل مع القوّات الدوليّة في الجنوب. سألته عن معارك عين الحلوة، والاشبال في الرشيديّة، فروى لي بعض انطباعاته، واهمها ان جيش (اسرائيل) مصاب بصدمة، اذ انهم لا يستوعبون كيف يتصدّى طفل معه آر بي جي لدبابة فيدمرها بقذيفة واحدة تحرقها وتقتل من فيها من جنود مدربين ومعدّين لهزيمة جيوش عربيّة!...

يومها ونحن نقف في الشارع، وهو يتوجّه الى فندق كان يتجمّع فيه الصحافيون ،ربّما (الكومودور)، مثّل بيده كيف ان بطولات الاشبال احدثت شرخاً في نفوس ضبّاط وجنود جيش (الدفاع)!

لم تكن معركة اجتياح لبنان، ومعركة صمود بيروت قرابة ثلاثة اشهر آخر الحروب، ولا كان الشرخ في نفوس جيش الاحتلال آخر الشروخ، ولا هزيمتهم في بيروت، وهربهم الذليل من لبنان في ايّار (مايو) عام 2000 آخر هروب...

حرب تموّز (يوليو) وآب (اغسطس) 2006، يمكن ان تشكّل صدعاً عميقاً في ثقافة هذا الكيان الصهيوني، في تقويمه لنفسه، في نظرته للانسان العربي، بعد ان سقطت نيران هذه الحرب، وصواريخها على رأسه في مدن ظنّها حصينة، ومستعمرات حسبها آمنة، قناعةً بأن قوّة جيشه لا تقهر...

اعتاد الصهاينة على النظر الى العربي الفلسطيني بعد تأسيس (دولتهم) عام 48 من (فوق) بتحقير، وبعد حرب 73 صاروا يتواضعون بعض الشيء، وبعد هذه الحرب فان عليهم ـ كما سمعت هذا من عرب جاؤوا من فلسطين 48 ـ ان يمطّوا اعناقهم ويلووها الى الخلف ليتمكنّوا من رؤية رؤوسنا الشامخة، فقد هزمناهم بقوّة صغيرة، قوّة صغيرة لبلد صغير هو لبنان !...

كلّ هذا حدث في مواجهة قوّة عربيّة (صغيرة)، فما بالك لو ان الجبهات السوريّة والاردنيّة، حتى بدون المصريّة، فتحت لمقاتلين من (مدرسة) حزب الله ومقاوميه البواسل، اما كانت تلك المرأة اليهوديّة، ومثلها الوف المستجلبين من العالم بادروا للرحيل من بلاد ليست لهم ؟!

ودّعت الصديقين القادمين من (حيفا)، العائدين الى حيفا، وانا احترق بنار اسئلة كيفما قلّبتها فانني اصل الى القناعة بان (اسرائيل) موجودة لا بالدعم الامريكي اللامحدود الآثم، ولكن بالضعف العربي الرسمي المفتعل، وكأن (بقاء اسرائيل) هو ضرورة اقليميّة!

عار الكاتب ... وفجيعة القراء

عبد القادر حسين ياسين*

■ التقيته قبل أعوام في بيت صديق مشترك في تونس. قال وحزنه ينقط لوعة : «هل قرأت صحف الصباح؟ لقد مات لويس أراغون..!!».

سألته وكلماتي هي الأخرى تنقط عزاء...

«لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم... انا لله وانا اليه راجعون... ولكن من هو لويس أراغون هذا؟!»

قال (مرتابا) : «ولو يا دكتور! ألا تعرفه؟! مستحيل.... «مجنون إلسا» (كذا!!) ألا تعرفه؟!»

ـ وهل تعرفه أنت؟!

ـ «أعرفه جيدا.... أعرفه حق المعرفة؟!».

ـ هل قابلته؟هل قرأت له؟!

ـ «قرأت عنه! ما الفرق بين ان اقرأ له أو اقرأ عنه؟ ... لماذا تعقد الأمور كعادتك؟!».

مما يؤسف له أن القصور قد بلغ ببعض الكتاب العرب حدا دفعهم الى الاتكاء على الأسماء الأجنبية! من دون معرفة وافية أو ضلوع كاف بمؤلفاتها... اللهم الا ما تلقيه الترجمات عنها من فتات بكل عي هذه الترجمات وقصورها وتشوهاتها.

وفي أواخر العام الماضي استوقفني اسمه موشوما على غلاف كتاب! وعندما أقحمت عيني في صفحاته لم أجد الا الأضغاث.

وكان الموضوع «محشوا» بأسماء غريبة (ونعريات أغرب)... ولا أغالي اذا قلت إن 90% من القراء العرب لم يتشرفوا بمعرفة أصحاب تلك الأسماء ولا مؤلفاتهم القيمة....! جورج لو كاش! لوسيان غولدمان! باتريس بارا... ثم نعريات «الديالكتيك الهيغلي» و ديكارت و«البنيوية الثنائية»... الى آخره.

ولم يستغرقني العجب! بقدر ما رثيت للكاتب! وتذكرت اللقاء الذي جمعني به قبل أعوام. يومها تبين لي بما لا يدع مجالا للشك انه لا يعرف من الانكليزية أو الفرنسية الا ما يكفيه ليقول شكرا أو أنه متأسف!!

فكيف تسنى له قراءة كل تلك المؤلفات و المراجع البالغة التعقيد والتي تفيض بالشك و اليقين وحيرة الأسئلة؟! وكيف سوغ لقلمه أن يأتي على كل تلك القافلة من الأسماء من دون أن يهاب قارئا أو ـ على أقل تقدير ـ يستحي من نفسه؟!

ليس ثمة شك في أن الابداع لدى الكاتب العربي ينميه! ويحسنه بل ويميزه أمام الكاتب بلغة أجنبية أو أكثر. لكن الابداع لدى الكاتب لا يحرجه ولا يعيبه عدم امتلاك الكاتب ناصية اللغات الأخرى! ولا يخدش نصاعته إن هو استند الى خصوصية تجاربه ومحض صدقه الى قدرته البلاغية واعجاز لغته.

فلماذا يستحي الواحد منا من القليل الذي عنده فيلتمس زينة وهمية يتشفع بها لدى الآخرين؟!

أهو القصور عن أن يقول الكاتب العربي شيئا جديدا مجديا.... وذا بال؟! إنه ليس عار الكاتب فقط، بل فجيعة القراء وسواد وجه الكلمة!

---

* كاتب من فلسطين

اجتماع صنعاء لاتحاد الكتاب والادباء العرب يتضامن مع لبنان

ابراهيم صحراوي*

■ في الظروف الاستثنائية الحالية التي تمر بها الأمتان العربية والإسلامية نتيجة الهجمة الصهيونية الشرسة وحربها على لبنان والضفة والقطاع، انعقد اجتماع المكتب التنفيذي الدائم للاتحاد العام للكتاب والأدباء العرب في صنعاء عاصمة اليمن السعيد في الفترة من 07/29 إلى 2006/08/01 الجاري، في دورة عادية هي الأخيرة قبل المؤتمر الثالث والعشرين للاتحاد الذي ستحتضنه القاهرة في غضون شهر تشرين الثاني (نوفمبر) المقبل. خيم على جلسات الاجتماع نتيجة لذلك حزن وغضب وألم انعكس على الوثائق الصادرة عنه. وهي:

1 ـ بيان تضامن مع الأشقاء في لبنان وفلسطين إزاء ما يلاقونه من وحشية العدو الصهيوني وهمجيته وُجِّه إلى الهيئات الإقليمية والدولية مناشدا إياها العمل من أجل وضع حدٍّ لانتهاكات العدو وتجاوزاته.

2 ـ برنامج عمل بعنوان: «برنامج تحرك عربي» شعاره «المقاومة وسيلة والتحرير هدف». من خمس عشرة نقطة تقترح بدائل مختلفة ومتعددة لمواجهة غطرسة العدو وممارساته اللاإنسانية وتنظيم المواجهة في كل المجالات سياسيا اقتصاديا ثقافيا واجتماعيا دعما للمقاومة بما يغرسها في النفوس ويجعلها خيارا أساسا ولا بديل عنه في ظلِّ فشل الخيارات الأخرى في ردع العدو، سيما خيار السلام الاستراتيجي في ظلِّ اختلال موازين القوى، ذلك أنه لا معنى للسلام ان لم ترفده قوة تحميه وتؤمن له الاستمرار.

3 ـ بيان ختامي أدان إرهاب العدو الذي مارسه ويمارسه ضد أشقائنا في لبنان وفلسطين المحتلَّة وهو إرهاب دولة مُقنَّن ومُنظَّم ومدروس عن سابق تصوُّر وتصميم. كما أدان التواطؤ المفضوح للقوى الغربية مع العدو الصهيوني وانحيازها إلَى جانب العدوان مما انعكس سلبا على أداء المنظمات والهيئات الدولية. ولاحظ عجز الأنظمة العربية وسكوتها (وما أسماه تواطؤ بعضها) خوفا أو طمعا أو شراكة. وأعلن باسم الأدباء والكتاب العرب الذين يمثِّلهم أن المقاومة هي البديل المُجدي والمُشرِّف في مواجهة العدو وأن الأدب والإبداع يستلهمان المقاومة ويدعِّمانها بلا حدود. ودعا الأدباء العرب إلى تعزيز المواقف المبدئية وتعميق الانتماء والالتزام بالقضايا المصيرية للأمة وعلى رأسها قضية فلسطين ومناصرة الحق والعدالة والحرية والقيم الوطنية والقومية والإنسانية واستنبات شرف الكلمات على جذع المقاومة البطلة في لبنان وفلسطين والعراق وفي كل مكان من الوطن العربي والتوجه نحو الرأي العام العربي والعالمي ومخاطبة الاتحادات الأدبية (والفكرية) النظيرة وكلَّ المؤسسات الإنسانية والشرفاء في العالم للوقوف بوجه العدوان والاحتلال والعنصرية الصهيونية البغيضة والامبريالية الأمريكية ووضع حدٍّ فوري لإطلاق النار في لبنان. ومن القرارات التي اتخذها المُشاركون إلزام كل أعضاء الاتحادات العربية المختلفة بدَعم المقاومة ماليا بما لا يقلُّ عن عشرين دولارا في السنة للفرد الواحد، أي بمعدَّل يقلُّ عن دولارين شهريا. ومن المفارقات العجيبة أن هذا المبلغ على زهده وتفاهته لقِي اعتراضا من البعض...

ترأَّس الأشغالَ الأمينُ العام للاتحاد العام د. علي عقلة عرسان وغابت عنه اتحادات لبنان وتونس والمغرب وموريتانيا، إضافة إلى اتحاد كتاب العراق المُجمَّدَة عضويته في ظلِّ الاحتلال الأمريكي لأراضيه.

الندوة الفكرية المصاحبة للاجتماع تناولت شخصيةَ أحد علماء العرب ومفكِّريهم الخالدين: عبد الرحمن ابن خلدون الحضرمي اليمني أصلا، بمناسبة الذكرى الـ600 لوفاته. افتتح الندوة رئيس وزراء اليمن الأستاذ عبد القادر باجمال بكلمة تطرَّق فيها إلى بعض الانشغالات والهموم العربية الراهنة وأهمها الحرب الصهيونية على أهلنا في لبنان وما ينبغي للمثقفين فعله والقيام به في هذه الظروف الحرجة. ولاحظ أن هذه القمَّة الثقافية نجحت في الانعقاد حيث فشلت القمَّةُ السياسية، ثم استضاف المشاركين في وليمة غداء أقامها على شرفهم في مقر مجلس الوزراء. واستمع المشاركون في الجلسة نفسها لكلمة الأمين العام للاتحاد العام وكلمة رئيس اتحاد كتاب اليمن د. عبد الله البار، وكلمة المشاركين. ثم انطلقت جلسات العمل الخمس ودارت محاورها حول حياة ابن خلدون وفكره وتراثه تاريخا وسياسة وعمرانا وفلسفة وأدبا. وسلَّطت عبر عشرين بحثا وورقة (ألقاها أساتذة وباحثون من اليمن والأردن والكويت وسورية والعراق وفلسطين ومصر والجماهيرية) أضواء ضافية على كلِّ هذه الجوانب التي أثارت مناقشات وتعقيبات كثيرة ومتشعِّبة سيما في ظل اختلاف المواقف من الشخصية وتباين الآراء فيها بين إعجاب وانتقاد ومدح وقدح خصوصا ما تعلَّق من ذلك بمزاجها الذي انعكس على علاقاتها المتوتِّرة بغيرها من المحيطين بها وعلى الأدوار السياسية التي لعبها حيثما حل والتي كانت قائمة على الدسائس والمناورات. تراوحت البحوث المُقدَّمة فيما بين العرض والسرد والتحليل والمناقشة والعمق والسطحية والتركيز والإطناب بلا طائل، وأوصت الندوة بزيادة الاهتمام عربيا ودوليا بابن خلدون قراءة وشرحا وإعادة نشر وفهرسة وتبويبا وترجمة.

الجلسة الختامية التي أشرف عليها معالي وزير الثقافة اليمني الأستاذ خالد الرويشان والقى فيها كلمة مؤثِّرة، خُصِّصَت لتلاوة البيان الختامي وبرنامج العمل والبرقية الموجَّهة إلى فخامة الرئيس علي عبد الله صالح الذي خصَّ المشاركين العرب باستقبال دام قرابة ساعة استعرض فيها تحليله وتقييمه للوضع العربي والدولي الراهن وتصوراته للحلول واستمع فيها لتصوراتهم هم واقتراحاتهم وما يرونه من بدائل ممكنة بوصفهم مكوِّنة اساسا من مكونات المجتمع المدني العربي وشريحة مهمَّة من نخبه. كما شهدت الجلسة الختامية توزيع جوائز القدس التي يمنحها الاتحاد العام للكتاب والأدباء العرب على الفائزين بها نظيرَ ابحاثهم وكتاباتهم عن القدس، وهم: د. حسن الباش من فلسطين، المهندس رائف نجم باحث ووزير أردني سابق، ود. عبد الملك الصليب من السودان.

دورة صنعاء التي تسبق المؤتمر القادم بالقاهرة كانت ناجحة بكل المقاييس وحظيت باهتمام يمني رسمي وثقافي وإعلامي إعدادا وضيافة وتأطيرا وعلميا أيضا (أزيد من ثلث المداخلين أساتذة وباحثون يمنيون). أكبر إيجابيتها هي إتاحة الفرصة لاكتشاف شباب وشابات الأدب والثقافة في اليمن وطاقاته البشرية في هذا المجال، ولقاء بعض كبار كتابه وشعرائه كالأستاذ د. عبد العزيز المقالح مثلا. أما أكبر سلبياتها، بل سلبيتها الوحيدة فهي المجزرة المُرتكبة من المشاركين في حقِّ اللغة العربية. أخطاء لغوية بالجملة تجعلك تعتقد أنك لست بحضرة نخبة متميزة، الأداة الأساس لصناعتها هي اللغة.

في الذكرى الـ600 لوفاته، عاد ابن خلدون إلى اليمن ولسان حاله يردِّد مع الإمام الشافعي رحمهما الله: «لا بُدَّ من صنعاء وإن طال السَّفر».

---

* كاتب من اليمن